

نظرية القيامة في الإسلام والأديان الأخرى: دراسة تحقيقية

**Theory of "Qayama" in Islam and Other religions:
A research Study**الدكتور محمد إقبالⁱⁱالدكتور حافظ حارث سليمⁱ**Abstract**

The faith in the day of Judgement is the cordinal belief among the articles of faith. It is found in every religion of the world. The concept of accountability of their good and bad deeds are present in all religions, though this is not exactly the same. It is either very brief or ambiguous due to alteration in their scripts. But Islam is the only semetic religion which depicts the whole picture of Doomsday. It unequivocally, mentions the whole scenario in detail. The Quran and Hadith very plainly enlighten and indoctrinate this belief in the minds of Muslims by using allegories and parables of the existing world. Due to its significance, Allah Almighty has mentioned different names and attributes of the Doomsday in His Holy Book. This article studies the concept of Doomsday in Islam and other major religions; Christainity, Judaism, Hinduism, ancient Greek and Roman Empire. At the end, the researchers have drawn different results.

Keywords: Qayama, Islam, Quran, Hadith, Religion.

إن لكل أمة أو تشريع عقيدة تتناول حياة ما بعد الموت، ولكن هذه العقيدة تختلف من أمة وأخرى ومن مواطن وآخر تبعاً للظروف المساعدة في كل موطن، ونحن في هذا الموضوع نحاول التعرف على بعض عقائد الناس الذين تتناول حياة ما بعد الموت عند بعض الأمم، ونبدأ من المصريين الأقدمين.

المصريون القدامى

وللمصريين تصورات كثيرة لما بعد الموت، ومن هذه التصورات هو عقيدة موت وبعث الإله (أوزيريس) الذي اعتبر ملكاً للموتى أجمعين¹. وفي سنة 2600 قبل الميلاد ترسخت هذه العقيدة في نفوس الأوساط الشعبية². وفي هذا الوقت كانت عبادة "أوزيريس" قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية. وعبادة أوزيريس أساسها الأول أن كل إنسان - ملكاً كان أو فرداً عادياً - مسؤول بعد الموت عن أعماله في الدنيا أمام محكمة إلهية. يتولى القضاء فيها "أوزيريس" نفسه، ويساعده فيها "توت"³، و"أنوبيس"⁴، و

i أستاذ مساعد في الكلية الحكومية، مري.

ii أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

"حوريس"5، و"معات"6. وإثنان وأربعون قاضيا. فإذا حكمت المحكمة بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفئ بالنعيم الخالد، وصار مثل "أوزريس"، أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقي في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب7. وهذا هو ما كان من عقيدة المصريين عن القيامة والجزاء والعقاب.

الديانة الزرادشتية

تتلخص عقيدة اليوم الآخر في الديانة الزرادشتية أن الميت عندما يموت تظل روحه معلقة ثلاثة أيام وثلاث ليال إلى جانب جسمه، منعمة بنعيمة أو معذبة بعذابه وفي فجر اليوم الرابع تحب عليها ريح، إما معطرة إذا كان الميت خيرا، وإما نتنة إذا كان الميت شريرا، فتحملها إلى موضع يلتقي فيه إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مفزعة، وليست الأولى فتاة حقيقة، ولا الثانية عجوزا حقيقة.

و"إنما هي صورة أعمال الميت، وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث معبر الحساب، والحكم الأخير، وعلى هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم (ميترا)، وهناك ينصب ميزان توضع في إحدي كفتيه حسنات الميت، وفي الأخرى سيئاته، وبناء على صعود إحدي الكفتين أو هبوطها يصدر الحكم على مصير هذا الميت"8.

"وعلى إثر انتهاء الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر أو الصراط الممتد فوق الجحيم، الذي يتسع أمام الأخيار، ويضيق حتى يكون أدق من الشعرة وأحد من الشفرة أمام الأشرار"9.

"أما هؤلاء الأخيرون فإنهم يهونون في الجحيم كانوا متراحمين كأنهم كمية من الشعر في معرفة حصان، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية و عزلة محضنة، وأما الأخيار فيذهبون إلى النور حيث يستقبلهم (أهورامازدا) بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكرة الطيبة. وهناك يستمتعون في كنف (مازدا) بالسعادة الأبدية"10.

وهكذا يكون الحساب والجنة والمطهر في ديانة زرادشت، فالعالم الدنيوي يتصل بالعالم الأخروي بجسر يسمى "جسر الانفصال". وعندما يموت الانسان فإن أرواحهم تجتاز هذا الجسر لتتصفي فيه... فأما الأرواح الطيبة فتمر عليه وهي مطمئنة إلى المصير الذي ينتظرها عندما تصل إلى الجانب الثاني، وهو بيت الخلود أو الجنة، وأما الأرواح الشريرة فإنها عندما تمر على الجسر ترجف من الفزع والخوف ولا تستطيع أن تجتاز الجسر لما تحمل من ذنوب، فترتدي في درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت كل الأرواح من ذنوب وهذا الجحيم عبارة عن هاوية مظلمة تثير الرعب وتضرب فيها الأرواح المذنبة حتى الأبد"11.

اليوم الآخر عند اليونان

إن أهم ما يمكن أن نجده من عقائد لليونان في "اليوم الآخر"، هو ما ورد في "أوذيسة هوميروس"، فإن "هو ميروس" يذكر فيها على لسان "عوليس" أنه رأى في "هيدز"12: الإله "مينوس" جالسا على عرشه والصولجان الذهبي في يده، والموتى يعرضون عليه قضاياهم، وقد تجمع جمعهم عند البوابات الكبيرة ينتظرون دورهم في عرض قضاياهم"13.

ومن ألوان العذاب التي رآها أنه شاهد "تيتوس" الجبار منبطحا على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفعدة. وعلى كل من جنبه أفعوان هائل أرقم يتغذي بمضغ من كبده الكبير الدائي، ومن أحشائه الغلاظ، وذلك جزاء على أنه حاول اجتذاب "لاتونا" عشيقة كبير الآلهة، لا لأنه صنع شرًّا في العالم الديني¹⁴.

ويقول الشاعر "بندار" في قصيدته الأولمبية الثانية، في القرن الخامس قبل الميلاد: "سيجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم، فالذين ارتكبوا منهم أعمالا محرمة تحاكمهم الآلهة "أنانكي"¹⁵.

اليوم الآخر عند الرومان: ويمثل عقيدة الرومان باليوم الآخر شاعر الرومان الأكبر "قرجيل" (70-19) قبل الميلاد، وذلك في ملحمة "الألياذة" المؤلفة من إثني عشرة فصلاً، ستة منها على مثال الأوديسة، وستة على مثال "الإلياذة" لهوميروس.

وفي أحد الفصول الستة يذهب "إيناس" بطل الملحمة إلى العالم السفلي للالتقاء بروح أبيه "أنشيز" لاستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته و يهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتى، وقد امتألت أشباحا وأرواحا، ويعبران نهر "ستكس". وهو نهر في الجحيم ملئ بالحيوانات المخيفة، ويشرف على عبورهما "شارون" النوتي الكئيب اللذي يقوده أرواح الموتى، ثم تمضي الكاهنة يتبعها "إيناس" في عالم كله يأس وقنوط، تروح فيه وتغدو صنوف من أشباح الموتى، و هنالك يلتقي "إيناس" بكثيرين من أبطال "طروادة" .. وأخيرا يلقي أباه فينبئه بما قد كتب لسلالته من مجد وفخار¹⁶.

اليوم الآخر في الديانة الهندية القديمة

الباحث في أشهر هذه الديانات وهي "الهندوسية" و "البوذية" لا يجد عالما آخر للحساب والجزاء، إنما يجد مكانه "النيرفانا" وهي الفناء في الروح الأعظم¹⁷.

فأما عند "الهندوس"، فقد ورد ما يلي: وتهاشم بعض الناس: إذن فلا جدوى في أن يكون المرء صالحا؟ وهنا أجاب الكهنة: بل هناك جدوى. فإنك إذا كنت صالحا في هذه الحياة فستجازي عن صلاحك في الحياة الأخرى ... وتساءل القوم: أية حياة؟ وأجاب الكهنة: لكل كائن حي روح، وهذه الروح تأتي من براهما روح العالم. وبراهما لا يموت قط.

وهكذا فإن روح الكائنات الحية التي تأتي من روح العالم لا تموت قط. وتساءلوا من جديد: إذن ما الذي يحدث للروح عند ما يموت الإنسان؟ وكان الجواب: عندما يموت الإنسان تخرج روحه من جسده وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوه. "فإذا كان الإنسان منت يميون حياة طيبة صالحة ولد في طائفة أعلي بينما يولد في طائفة أدني إذا كان يحيا حياة فاسدة مليئة بالشر"¹⁸.

"من هنا بالذات جاء تناسخ الأرواح كما يؤمن به الهندوس، فالروح تتقمص عديدا من الأجساد خلال رحلتها في الفضاء الخارجي حتى تصل إلى هدفها النهائي"¹⁹.

أما في الديانة البوذية فإن لهم إلهما خاصا تحت الأرض، و"البك" قطعة قديمة تصور ما يحدث بعد موت العاصي من حساب "يخطئ المرء في الفعل وفي المكتبة وفي التفكير، ثم حالما يتفتت الجسد بعد الموت يقوم بطريقة مفزعة، مقدمة إياه لعقاب الحفظة أمام ياما YAMA مجردا عن بنيه خلوا من الاحترام للأشياء الجليلة والمقدسة والاحترام لرأس الأسرة يؤنبه ياما قائلا: اذكر أيها الإنسان ألم تر ظاهرا بين الناس رسولنا الأول. فالثاني فالثالث؟ لا ياسيدي، ألم تر شيخا أو مسنة أو مريضا أو مريضة أو ميتة؟ رأيت يا سيدي اذكر أيها الإنسان؟ ألم يحدث هذا لك تحذير وعبرة فتقول: سأكون مثلهم أيضا، تعالوا سأفعل الطيبات في العمل والقول والتفكير؟ لم أفعل يا سيدي، كنت مهملا. اذكر أيها الإنسان إنه بناء على إهمالك يفعلون بك، وأسفاه أفهذه أفهالك لم تقم بما أم ولا أب ولا أخ ولا صديق أو زميل أو قريب سواك، نعم أتيت بهذه الأفعال، فأنت الآن تجني نتائج ما كان"²⁰.

معنى القيامة عند اليهود

لا شك عندنا أن "العهد القديم" لا يمثل العقيدة السماوية التي جاء بها موسى عليه السلام. فالعقيدة التي جاء بها موسى تحتوي على صورة واضحة للعالم الآخر، الذي يلقي الناس فيه جزاء أعمالهم في الدنيا، وقد جاء في كلام الله سبحانه و تعالى لموسى -عليه السلام- في أول موقف للنداء في جانب الطور الأيمن²¹:

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى²²

"ولكن بني إسرائيل انخرفوا عن ديانة موسى، وأغفلوا ما جاء فيها عن الآخرة، فخلت كتبهم الملفقة من ذكرها"²³، لكن اليهود اقتبسوا عقيدة يوم الآخر من الفرس فدرسوا عقائد زرادشت، واقتبسوا منها. وفي هذا الوقت بدأ الأنبياء أشعياء ودانيال، يذكرون الناس بيوم البعث والحساب والجزاء"²⁴.

فوردت إشارات عن اليوم الآخر في أسفارهم. وقد جاء لفظ النار في التوراة "سول واش"، قال علماء اليهود و معني اللفظين "جهنم" كما في الفصل الثامن عشر، وفي السفر الثالث ولفظه: "واحفظوا رسومي وأحكامي فإن جزاء من عمل بما إن يحيى الحياة الدائمة"²⁵.

وجاء في سفر أشعيا "لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار. لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلي الرب الذين يقصدون ويظهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفنون معا. يقول الرب: وأنا أجازي أعمالهم وأفكارهم .حدث لجمع كل الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي"²⁶.

وفي سفر دانيال جاء قوله:

"وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك و يكون زمان ضيق من يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوحد مكتوبا في السفر وكثيرون من

الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء

الأبدي. والفاهمون يضيؤون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور²⁷."

معنى القيامة عند النصارى: أما في النصرانية فقد جاء ذكر القيامة في الأناجيل الأربعة المعترف بها من قبل الكنيسة، على الرغم من وجود قيامتين لديهم: "الأولى قيامة المسيح بعد دفنه بثلاثة أيام، والثانية قيامة يوم القيامة²⁸."

جاء إنجيل متى:

"قد سمعت أنه قيل للقديس لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زني بما في قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثر فقلعها والقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسداك كله في جهنم²⁹

وفي إنجيل مرقس نجد قوله:

"ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه رحى وطرح في البحار. وإن عثرتك يدك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن عثرتك رجلك فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان. وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. وإن عثرتك عينك فقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ. لأن كل واحد يملح بنار و كل ذبيحة تملح بملح³⁰"

وعودة أخرى إلى إنجيل متى حيث يعرض لنا مشهدا من مشاهد القيامة والحساب لديهم حيث جاء:

"ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي ربوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأنني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريبا فأويتموني عريانا فكسوتوني مريضا فزرتموني. محبوسا فأتيتم إلى فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب أمتي رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك، و متى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك. فيجيب الملك و يقول لهم ، الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر في فعلتم³¹"

ثم يقول أيضا:

"للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأنني جعت فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريبا فلم تأووني، عريانا، فلم تكسوني مريضا ومحبوسا فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك. فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر في لم تفعلوا، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية³²."

معنى القيامة عند العرب قبل الإسلام: لم يكن كثير من الجاهليين يؤمنون بالبعث كما يتبين ذلك من القرآن الكريم. لقد كانوا يرون أن الموت نهاية، وأنهم غير مبعوثين، وأن البعث بعد الموت شيء غير معقول، فهم ينكرون البعث والحساب، ولا يريدون سماع شيء عنهما، ولا يصدقون عودة الروح إلى الجسد بعد أن فارقت، فذلك عندهم من المستحيلات، ولذلك سخروا من البعث لما سمعوا به. وكيف يكون بعثاً وقد فنت الأجساد، فلم تبق منها بقية! فرأي من أنكر الحشر والبعث من أهل الجاهلية، ان الحياة حياة واحدة، هي حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب، نحيا ونموت، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، وما يميتنا إلا الأيام والليالي، أي مرور الزمان وطول العمر. فالحياة إذن حياة وموت في هذه الدنيا، وهي استمرار للثنتين على مدى الدهر، يولد انسان ثم يموت ليحل محله إنسان آخر، وهكذا بلا انتهاء. لذا تعجبوا من قول النبي بوجود البعث والحساب، وفي القرآن الكريم آيات فيها خطاب للمشاركين في بيان فساد رأيهم واعتقاداتهم، وفيها رد عليهم، منها نستطيع أن نحيط بعض الإحاطة بأرائهم في الوجود وفي البعث والحشر والحساب وغير ذلك من أمور تتعلق بدياناتهم. وهذه الآيات هي الشواهد الوحيدة التي نملكها من آراء في ذلك العهد أما ما جاء في روايات الأخباريين وفي كتب التفسير والحديث والملل والنحل.

وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ³³

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ³⁴
وَقَالُوا أَيُّدًا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْ أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِينًا³⁵

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ³⁶
وَلَقَدْ قُلْتُمْ إِنْ كُنَّا لَمَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَمُوتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ³⁷

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ قَالُوا أَيُّدًا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنْ أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ³⁸

وَإِنْ تَعَجَبْتَ فَعَجَبَ قَوْمُهُمْ أَيُّدًا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقِي جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَافُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ³⁹

أَيُّعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ⁴⁰

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّدًا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَيْنَا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي

ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ & وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ⁴¹

وَقَالُوا أَيُّدًا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَا لَفِي خَلْقِي جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَمُوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ⁴²

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ⁴³

والآيات المتقدمة وأما لها كلها حكاية عن رأي كثير من الجاهليين في نفي البعث وفي عدم إمكان العودة إلى حياة أخرى بعد موت يهلك الجسم ويفني العظام فيجعلها رميمًا ويمحو كل أثر للجسم، لذا كان البعث من أهم ما عارض فيه الجاهليون معارضة قاسية شديدة، وكان من الموضوعات التي سخروا وأخذوا عليها الرسول. وكانوا يقولون:

"إن هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها، وهي الموتة الأولى، وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثين تكذيبًا منهم بالبعث والثواب والعقاب. "وقالوا للرسول: فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا إن كنتم صادقين، إن الله باعنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا"، وقالوا أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أتنا لمبعوثون؟ يقولون منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم. أتنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا ترابًا وعظامًا قد ذهب عنها اللحم. أو آباؤنا الأولون الذين مضوا من قبلنا فماتوا وأهلكوا؟"⁴⁴

"وقد يسأل سائل إذا كان أغلب أهل الجاهلية لا يؤمنون بثواب ولا بحساب وبعث ونشر، فلم تعبدوا إذن لإله، وتقربوا إلى الأصنام، وقدموا القرابين والندور؟ وجوابي على هذا السؤال، هو ما ذكره المتقدمون عنه. قالوا:

"كانت العرب في الجاهلية تدعو في مصالح الدنيا فقط، فكانوا يسألون الإبل والغنم والظفر بالعدو، ولا يطلبون الآخرة؛ إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها"⁴⁵

"واعتقد قوم من العرب في الجاهلية بالرجعة: أي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت. فيقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا كرة أخرى ويكون فيها حيا، كما كان. ولعل هذه العقيدة هي التي حملت بعض الجاهليين على دفن الطعام وما يحتاج الإنسان في حياته إليه مع الميت في قبره، ظناً منهم، أنه سيرجع ثانية إلى هذه الدنيا، فيستفيد منها، فلا يكون معدماً فقيراً. ويفهم من كتب الحديث أن من الناس من سأل الرسول عن الرجوع إلى هذه الدنيا، مما يشير إلى معرفة القوم عند ظهور الإسلام بهذا الرأي"⁴⁶.

"وقد اعتقد بعض الجاهليين بـ"المسخ"، وهو تحول صورة إلى صورة أخرى أقبح، وتحول إنسان إلى صورة أخرى أقبح، أو إلى حيوان. كأن يصير إنسان قردًا، أو حيوانًا آخر، أو إلى شيء جماد. من ذلك ما يراه بعض أهل الأخبار عن "اللات"، من أنه كان رجلاً يلت السوق عند صخرة بالطائف، فلما مات قال لهم "عمرو بن لحي"، إنه لم يموت، ولكنه دخل الصخرة، ثم أمرهم بعبادتها وبنى بيتاً عليها يسمى اللات. وما رووه أيضاً عن "أساف"، و"نائلة"، من أنهما كانا رجلاً وامرأة، عملاً قبيحاً في الكعبة، فمسخا حجرين. وما رووه من أن "سهيلاً" كان عشائراً على طريق اليمن ظلوماً، فمسخه الله كوكباً"⁴⁷

معنى القيامة عند المسلمين: القرآن الكريم كتاب الله يعالج حياة الإنسان، فلم يترك مجالاً يهمل الإنسان إلا ورسم خطوطه العريضة، فهو كتاب عملي صالح لكل زمان ومكان. ومن الجوانب اهتم بها القرآن وبينها و فصلها هي طبيعة الحياة التي تعقب الموت، وهي من الأمور المغيبة التي لا يمكن الجزم بها إلا بوحى إلهي.

"لقد عنى القرآن بمشاهد البعث والحساب والنعيم والعذاب؛ فلم يعد ذلك العالم الآخر الذى وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر، موصوفاً فحسب، بل عاد مصوراً محسوساً، وحياً متحركاً، و بارزاً شاخصاً، وعاش المسلمون فى هذا العالم عيشة كاملة، رأوا مشاهدته و تأثروا بها؛ وخفقت قلوبهم تارة، واقشعرت جلودهم تارة، وسرى فى نفوسهم الفزع مرة، وعاودهم الإطمئنان الأخرى؛ ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعد"⁴⁸.

إن الإنسان إذا مات قامت قيامته كما هو وارد عندنا ، و يستمر إلى أن يأذن الله لإسرافيل للنفخ في الصور النفخة الأولى فينفخ بها فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ⁴⁹

فبعد الحياة البرزخية تكون النفخة الثانية فيخرج الناس من قبورهم ويبعثون من جديد، وهم حيارى لا يعلمون أين يتوجهون فيتهافتون تهافت الفراش:

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعُغْبِ الْفُتُوشِ⁵⁰

ثم يسمعون الداعي والمنادي:

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ⁵¹

فيتوجهون صوب الصوت وهم على جمعهم الكبير فأشبه حالهم حال الجراد المنتشر:

خَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَخْدَانِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُسْتَشِيرٌ⁵²

فيجتمعون للحساب ، وهو حساب مرير طويل على الكافرين قصير على المؤمنين:

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ⁵³

وفي هذا الحساب يؤتى بالشهود في هذه المحكمة الإلهية:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁵⁴

وتنصب الموازين:

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ⁵⁵

فأما إن ترجح الحسنات أو السيئات:

فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ

خَالِدُونَ⁵⁶

فَأَمَّا مَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ

خَامِيَةٌ⁵⁷

وتوزع الكتب عليهم:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
فِي حَيَاةٍ عَالِيَةٍ فُطُوهُهَا دَانِيَةً كُلُّوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ
فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي
سُلْطَانِيهِ⁵⁸

وينصب الصراط على جهنم فيمر عليه الجميع:

وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا⁵⁹

فإما أن ينجوا منها أو يسقطوا فيها:

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا⁶⁰

فأما الناجون فقد أعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار:

بُشْرَاكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ حَبَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا⁶¹

وهذه الجنات عندما يصلوها يجدوها مفتحة لهم أبوابها:

حَبَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَهُمْ الْأَبْوَابُ⁶²

وفي هذه الجنان من أصناف النعيم ما لم تره عين و لم يخطر على قلب بشر وليس له شبيهه في الدنيا ولا

يشارك مع أصناف النعيم في الدنيا إلا بالأسماء ، فأخبار الجنة من ماء وعسل ولبن وخمر:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ
لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى...⁶³

ولهم من الأطعمة و الفواكه ما يشتهون:

وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ⁶⁴

ولهم من الحور العين من يبهج القلوب ويريح النفوس:

وَحُورٍ عِينٍ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ⁶⁵

ولهم أكبر من ذلك كله ألا وهو رضوان الله عليهم:

وَمَسَاكِينٍ ظَلِيمَةٍ فِي حَبَّاتٍ عَدْنٍ يَرْضَوْنَ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁶⁶

ولهم النظر إلى وجه الباري جل وعلا وهو نعمة ما بعدها نعمة:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ⁶⁷

أما في الطرف الآخر فأعد الله لهم النار إذا رأتهم سمعوا لها تغيظا وزفيرا:

إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا⁶⁸

وفي النار من أصناف العذاب ما لا طاقة للإنسان به فطعامهم الزقوم والغسلين والضريع، والذي ينظر إلى

شجرة الزقوم يرتعد قلبه رعبا وخوفا من ذلك المنظر:

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ⁶⁹

وأما إذا ما طلبوا الماء سقوا حميما يقطع أمعاءهم:

وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ⁷⁰

ولهب النار لهب عظيم و شررها شرر عظيم:

إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهَ جَمَلٌ صُفْرٌ⁷¹

وإذا ما نضجت جلودهم من شدة العذاب بالنار أبدلهم جلودا غيرها ليزداد عذابهم:

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا⁷²

وهي دركات عدة أدها يوضع المنافقون:

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا⁷³

هذا وإن الخلود قد شمل الجميع فيما خلود في النعيم وإما خلود في الجحيم:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ⁷⁴

كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا⁷⁵

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون إلى قيام الساعة وذلك مما اطلعه الله عليه من الغيوب المستقبلية،

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، حتى بلغت التواتر المعنوي، فمنها:

أ. ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال:

لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت، فأعرفه، كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فراه فعرفه⁷⁶.

ب. روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه، قال:

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل، فصلى، ثم صعد، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا⁷⁷

فهذه أدلة صحيحة على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة فيما يخصهم، ولا شك أن أشراط الساعة كثيرة جداً، ورويت بألفاظ مختلفة لكثرة من نقلها من الصحابة رضي الله عنهم⁷⁸.

وهكذا يتضح لنا هذا العالم الغامض، فهو موت وبعث، نعيم وعذاب، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعيم، وأما الذين كفروا وكذبوا بقاء الله، فلهم النار بما فيها من جحيم.

نتائج البحث

بعد الوقوف على هذه الدراسة البسيطة حول "معنى القيامة في الإسلام والأديان الأخرى" توصلنا إلى

نتائج عديدة فمن أهمها:

ما جاء في كافة الشرائع والأديان والأمم التي قبل الإسلام مثل التفصيل الذي جاء في القرآن الكريم عن يوم القيامة، وحتى الكتب السماوية المنزلة قبل القرآن قد تناولها التحريف ولم تعد مصدرا ثقة أو تشريع، وهي على تحريفها لم تتضمن من صور ذلك اليوم إلا الشيء اليسير الذي لا تبني به عقيدة أو يقوم عليه دين. فكرة الإيمان باليوم الآخر فكرة حية وعميقة في الوجود البشري، تنسجم وفطرتة، وتشكل حدا فاصلا للصراع بين الخير والشر. اللجوء إلى قوة عظمي لتحقيق العدالة الإنسانية، فيثاب المحسنون على إحسانهم، ويعاقب المسيئون على إساءتهم. حياة الإنسان في الدنيا هي طريقه إلى الآخرة، وهذا يعود إلي ضرورة إعمار الدارين الدنيا والآخرة.

الحواشي والهوامش

- 1 سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن: 15، دار المعارف مصر
- 2 المصدر نفسه
- 3 "توت": إله الحكمة والعلم عند المصريين القدماء.
- 4 "أنوبيس": هو مدير الدفن ودليلهم في الآخرة حسب اعتقادهم.
- 5 "حوريس": ابن اوزيريس وايزيس.
- 6 "معات": آلهة الحقيقة والعدل عندهم.
- 7 مشاهد القيامة في القرآن: 15
- 8 المصدر نفسه: 21
- 9 المصدر نفسه: 21-22
- 10 المصدر نفسه: 22
- 11 سليمان مظهر، قصة الديانات: 314-315، الوطن العربي
- 12 مشاهد القيامة في القرآن: 23
- 13 المصدر نفسه: 23
- 14 المصدر نفسه: 23-24
- 15 المصدر نفسه: 28
- 16 مشاهد القيامة في القرآن: 29، نظرا إلي كتاب "قصة الأدب في العالم" للدكتورين: أحمد أمين وركي نجيب، و"من أساطير الحب والجمال عند الإغريق" للأستاذ دريني خشبة.
- 17 المصدر نفسه: 26
- 18 قصة الديانات: 55
- 19 المصدر نفسه: 56
- 20 محمد جابر العال، الدكتور، في العقائد والأديان: 129-130، الديانات الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م
- 21 مشاهد القيامة في القرآن: 30.

22	سورة طه، رقم الآية: 15
23	رشدي عليان، قحطان الدوري، الدكتوران، أصول الدين الإسلامي: 418، مطابع دار الحكمة، بغداد، 1411هـ
24	المصدر نفسه: 418
25	صديق حسن خان، يقظة أولي الاعتبار في ذكر النار وأصحاب النار: 8، مطبعة الإمام مصر
26	الكتاب المقدس سفر أشعيا إصحاح: 15-18، دار الكتب المقدس في الشرق الأوسط
27	الكتاب المقدس سفر دانيال، إصحاح: 1-3
28	مشاهد القيامة في القرآن: 33
29	الكتاب المقدس إنجيل متي، إصحاح: 27-30
30	الكتاب المقدس إنجيل مرقس، إصحاح: 42-49
31	الكتاب المقدس إنجيل متي، إصحاح: 31-43
32	المصدر نفسه، إصحاح: 40-46
33	سورة الأنعام، رقم الآية: 29
34	سورة النحل، رقم الآية: 38
35	سورة الإسراء، رقم الآية: 49-53
36	سورة التين، رقم الآية: 7
37	سورة هود، رقم الآية: 7
38	سورة المؤمنون، رقم الآية: 81-83
39	سورة الرعد، رقم الآية: 5
40	سورة المؤمنون، رقم الآية: 35-37
41	سورة النمل، رقم الآية: 67-71
42	سورة السجدة، رقم الآية: 10-11
43	سورة الدخان، رقم الآية: 34-35
44	القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 23: 30، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة 1423 هـ
45	الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الأملي، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 2: 432، مؤسسة الرسالة
46	الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: 1268، دار الساقية، 1422 هـ
47	المصدر نفسه: 1268
48	مشاهد القيامة في القرآن: 37
49	سورة الزمر، رقم الآية: 68
50	سورة القارعة، رقم الآية: 4-5
51	سورة القمر، رقم الآية: 6
52	سورة القمر، رقم الآية: 7

53	سورة المطففين، رقم الآية: 6
54	سورة النور، رقم الآية: 24
55	سورة الأنبياء، رقم الآية: 47
56	سورة المؤمنون، رقم الآية: 102-103
57	سورة القارعة، رقم الآية: 6-11
58	سورة الحاقة، رقم الآية: 19-29
59	سورة مریم، رقم الآية: 71
60	سورة مریم، رقم الآية: 72
61	سورة الحديد، رقم الآية: 12
62	سورة ص، رقم الآية: 50
63	سورة محمد، رقم الآية: 15
64	سورة الواقعة، رقم الآية: 20-21
65	سورة الواقعة، رقم الآية: 22-23
66	سورة التوبة، رقم الآية: 72
67	سورة القيامة، رقم الآية: 23
68	سورة الفرقان، رقم الآية: 12
69	سورة الصافات، رقم الآية: 64-65
70	سورة محمد، رقم الآية: 15
71	سورة المرسلات، رقم الآية: 32-33
72	سورة النساء، رقم الآية: 56
73	سورة النساء، رقم الآية: 145
74	سورة هود، رقم الآية: 23
75	سورة يونس، رقم الآية: 27
76	ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري 11: 494، دار المعرفة بيروت
77	النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم 18: 16، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ
78	يوسف بن عبد الله بن يوسف وابل، أشراط الساعة: 55، رسائل جامعية، دار ابن جوزي